

جغرافية اللهجة وتأثيرها على الهوية الجماعية

فايزة قلال و خديجة قلال،

جامعة وهران 02 و جامعة الجبلاي يابس سيدي بلعباس، الجزائر

الملخص:

تعد مسألة اللهجات من القضايا المعاصرة المعقدة والتي طرحت جدلية اللغة والهوية، وجاءت هذه الدراسة لمعالجة أثر البيئة اللسانية أو اللهجية على الهوية الجماعية والتي تعكس العناصر الأساسية لها ذلك أن تعدد اللهجات وإختلافها من منطقة إلى أخرى يخلق تعدد اللغات ويبرز الهويات بشتى تمظهراتها الدينية القبلية، الإثنية، اللغوية والجهوية داخل المجتمع الواحد، بما يعنيه ذلك تغير حتى في معالم الهوية. وعليه يمكن إستنتاج أن جغرافية اللهجة تصيغ شبكة من التعبيرات الشائعة والدلالات الرمزية لبناء نمط الاستعدادات وتكييف الفرد للإنتماء للجماعة الإجتماعية من خلال إعادة إنتاج هوية جمعية داخل النسق المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: جغرافية اللهجة، الهوية الجماعية، الإنتماء، الوسط الإجتماعي، الممارسات الاجتماعية.

مقدمة:

إن إشكالية اللغات واللهجات طرحت نفسها كموضوع جدير بالإهتمام من قبل الباحثين والمختصين ما يسمح بمعرفة حقل اللسانيات الجغرافية وجاءت هذه الدراسة لنتناول أهمية البيئة الجغرافية في تسجيل مختلف الظواهر اللهجية واللغوية والتي تنشأ نتيجة إنعزال مجموعة من الناس عن مجموعة أخرى ما يؤدي الى وجود لهجة تختلف عن لهجة أخرى تنتمي الى اللغة نفسها، تعمل على ترسيخ ممارسات جديدة لدى الأفراد فتنتج شبكة من الرموز والتعبيرات التي تعكس المكونات الأساسية للهوية وفق علاقة الإنتماء التي يتبناها كل فرد فتتشكل بذلك الهوية الجماعية بحيث تتجمع عناصرها وتطبع الجماعة بطابعها على مدار تاريخها من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة) ووسطها الاجتماعي (البيئة) ذلك أن تعدد اللهجات وإختلافها وتمايزها من منطقة الى أخرى يؤثر على الهوية الجمعية ويخلق الصراع بين أفراد المجتمع الواحد وينشأ الجهوية الفكرية وبالتالي عدم وضوح الملامح الحقيقية للهوية وعليه نطرح السؤال الآتي: فما تتمثل جغرافية اللهجة وما مدى تأثيراتها على الهوية الجماعية؟

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال محاولتنا ربط المفاهيم بين مجالين في السوسولوجيا واللغات الفرع الذي يهتم بدراسة اللغات وكيفية توزيع اللهجات على مختلف مناطق العالم، والمجال الذي يدرس الهوية الجماعية كظاهرة إجتماعية ودراسة الأنساق الإجتماعية والثقافية المكونة لها. تختلف المناهج التي يشركها الباحث في حقل دراسته بإختلاف المواضيع، ولقد إعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والذي يعتمد على تحديد التعاريف الإصطلاحية واللغوية للهوية واللهجة والتحليلي يعتمد على تحليل الظاهرة كما هي في الواقع.

-الدراسات السابقة:

قد سبقت دراستنا دراسات عدة إختلفت في معالجتها للمادة المدروسة منها ما يلي:

- دراسة عبده الراجحي (1996) بعنوان "اللهجات العربية في القراءات القرآنية" والتي هدفت إلى محاولة فهم الواقع اللغوي للعربية قبل الإسلام كما تمثله القراءات القرآنية، ودراسة العناصر التي تكون العربية الفصحى أو الخصائص اللهجية التي تنتسب إلى قبائل بذاتها، وقد أستخدمت المنهج اللغوي الوصفي وذلك لدراسة اللهجات العربية دراسة بيئية من خلال دراسة جغرافية وبشرية لشبه الجزيرة ثم جمع القراءات القرآنية من مضامينها، وكان من أبرز نتائجها البحث بأطلس لغوي يجمع من خلاله العناصر اللهجية وتوزيع أماكنها من شبه الجزيرة العربية.

- دراسة عبد الغني عماد (2017) تناولت هذه الدراسة سوسولوجية الهوية" جدليات الوعي والتفكك وإعادة البناء"، حيث قدمت مقارنة سوسولوجية لإشكالية الهوية وتطرقت إلى أبرز الأدبيات العلمية والأكاديمية المعاصرة التي طرحت الهوية كسيرورة جدلية وفق المعنى التكاملي للأضداد حول أهمية الفروق المجتمعية والفردية وفهم التفاوتات المستندة إلى العلاقات بين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها، وفي ضوء هذه المقارنة يمكن فهم كيف يصبح الفرد عاملا في بناء ثقافته وفي بناء هويته الذاتية، وقد خلصت الدراسة إلى الحاجة الماسة لمقاربات سوسولوجية علمية عقلانية تدرس الواقع العربي ومشكلاته المعاصرة.

-دراسة عمر عبد الرحمن حسين علي الحرمي (2013) بعنوان " التوزيع اللغوي الجغرافي في شبه الجزيرة العربية" والتي هدفت إلى محاولة دراسة الظواهر على أساس التطور ومتابعة إنتشارها داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها، مع تأثيل الظواهر قديما ومحاولة إرجاعها إلى أصولها في العصر الحديث، وكان من أبرز نتائجها تسجيل اللهجات العربية الحديثة وإمكانية إرجاع أصولها إلى الظواهر القديمة من خلال دراسة تواجد القبائل العربية وبيان أنسابها قديما وحديثا، والعمل على إصدار أطلس لغوي مبني على اللهجات الحديثة.

- إشكالية جغرافية اللهجة وتأثيرها على الهوية الجماعية:

١. ماهية جغرافية اللهجة ومدارسها:

١،١ ماهية اللهجة:

عرفها إبراهيم أنيس بأنها: مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك فيها أفراد البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها لكنها تشترك جميعا في جملة من الظواهر اللغوية، التي تيسر إتصال أفراد هذه البيئة بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حيث فيما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات. (إبراهيم أنيس، ٢٠٠٢، ص ١٥).

أما أحد الباحثين فعرفها بأنها: اللهجة هي جزء من اللغة التي تضم عدة لهجات لكل لهجة منها خصائصها ومميزاتها، لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر إتصال الناطقين بهذه اللهجات بعضهم ببعض، وفهم ما يدور بينهم من معاملات كلامية، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة اللغة الواسعة والشاملة. (محمد عبد الرحمن محمد، ٢٠١٣، ص ٧٤).

ما يمكن ملاحظته على هذين التعريفين أنهما يتفقان في مفهوم واحد وأن اللهجة هي جزء من اللغة الواسعة بإعتبارها وسيلة إيصال بين أفرادها،

وقد أوضح محمد رياض كريم العلاقة بين اللغة واللهجة: فاللهجة إذن تتولد من اللغة وتتفرع منها وإذا ما تهيأت الأسباب للهجة أن تنمو وتكتمل وتفي بحاجات المجتمع الذي تعيش فيه، فإن العوامل اللغوية تحتم على الباحثين إطلاق اسم اللغة على تلك اللهجة. (محمد رياض كريم، ١٩٩٦ ص ٥٧).

من خلال هذا إتضح أن العلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة الفرع بالأصل وبذلك فاللغة هي عبارة عن مجموعة من اللهجات، أي أن اللهجة عندما تتطور وتكتمل إذا ما تهيأت لها الأسباب والعوامل تصبح لغة.

ذلك أن للغة مستويين فالأول مستوى تداولي يمثل اللغة المشتركة التي تعرف بالفصحى، والثاني مستوى تواصلية يمثل اللهجات ويستعمل كأداة للتفاهم بين الأفراد في أمور حياتهم العامة". (يوهان فك ترجمة عبد الوهاب رمضان، ١٩٨٠، ص ٠٩).

أما الصفات التي تتميز بها اللهجة فتكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذي يفرق بين لهجة أخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان.

الصفات الصوتية التي تميز اللهجات يمكن أن تلخص في النقاط الآتية:

- إختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية.

- إختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات.

-الإختلاف في مقياس بعض أصوات اللين.

-تباين في النغمة الموسيقية للكلام.

-إختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة، حين تتأثر ببعضها البعض. (إبراهيم أنيس، 2002، ص 16-17).

كما هو معروف أن اللغة العربية قد نزحت من شبه الجزيرة العربية مع الفتوح الإسلامية واستقرت في بيئات متعددة وفي صورتين إحداهما موحدة نموذجية متمثلة في لغة الآثار الأدبية والقرآن الكريم، والأخرى في شكل صفات كلامية إمتازت بها القبائل المتباعدة، ذلك أن البيئات متى إنعزلت إتخذت أشكالاً متغايرة في تطور وتكامل لهجاتها وفقاً لعاملين أساسيين هما العامل الجغرافي والعامل الاجتماعي فمثلاً سكان الأرياف تختلف لهجتهم عن سكان الصحاري والسواحل. (الراجحي عبده، 1999، ص 44).

1,2 ماهية جغرافية اللهجة:

درس هذا العلم من قبل الباحثين تحت تسميات عديدة: اللسانيات الجغرافية، جغرافيا اللهجات أو الجغرافية اللغوية، علم اللغة الجغرافي أو علم اللغة الإقليمي.

اللسانيات الجغرافية جزء من علم اللهجات وهي تعني "دراسة التنوع في استعمال اللغة عند الأشخاص أو المجموعات من أصول جغرافية مختلفة". (المعجم الموحد لمصطلح اللسانيات، 2002، ص 62).

ويمكن أن نفسر هذا المفهوم بالطرح الذي قدمه فردينان دي سوسير في كتابه محاضرات في اللسانيات العامة مجالات علم اللسانيات الجغرافية، والذي تناول فيه تنوع اللغات وتعدد التنوع الجغرافي وتعايش اللغات في بقعة معينة، اللغات الأدبية واللهجات المحلية وأسباب التنوع الجغرافي وتأثير الزمن كعنصر أساسي فيه وتحظى اللهجات للحدود الطبيعية وإنتشار الموجات اللغوية، وخصائص هذا الإنتشار". (صالح القرمادي وآخرون، 1985، ص 285، 315).

علم اللغة الإقليمي أو الجغرافي هو فرع من فروع علم اللغة الذي يدرس التوزيع الإقليمي للهجات يبحث في تصنيف اللهجات أو اللغات على أساس جغرافي، كما يبحث في توزيع لهجات لغة ما، وفي الفروق بين هذه اللهجات". (قاموس المورد الحديث، 1989، ص 57).

وأيضاً " بدراسة اللغات أو اللهجات التي يتكلمها السكان في منطقة معينة".

وعرف بأنه " دراسة إقليم جغرافي معين دراسة جغرافية تاريخية وإجتماعية في وحدة لغوية معينة" يهتم علم اللغة الجغرافي بدراسة اللغات واللهجات في الحال التي هي عليها الآن، وبدراسة التوزيع الجغرافي للغات الإنسانية، مع الإشارة إلى عدد المتحدثين مع بيان نوعية اللغة بالنسبة لهم، وتحديد اللهجات المختلفة التي ترتبط بكل لغة وتوزيعاتها، كما تهتم بدراسة إنتشار اللغة وأهميتها من

الناحية الإقتصادية والسياسية والعلمية والثقافية، وأيضا التعرف عليها في أشكالها المنطوقة والمكتوبة. (عبد العزيز بن حميد الحميد، 2011، ص 29).

وفي نفس السياق إعتبر ماريو بأن هذا العلم حديث النشأة، وقد حدد وظيفته في توزيع اللغات في مناطق مختلفة من العالم ليوضح مدى أهميتها السياسية والإقتصادية والإستراتيجية والثقافية على إعتبار أنه يدرس طرق تفاعل اللغات مع بعضها البعض وكيفية تأثير العامل اللغوي على تطور الفكر والثقافة.

1، 3 المدارس اللسانية:

هناك عدة نظريات تفسيرية ساعدت على دراسة اللسانيات أو جغرافية اللهجة، نذكر منها ما

يلي:

-مدرسة براغ:

تعد مدرسة براغ من أهم المدارس اللسانية، ويعود الفضل في نشأتها إلى العالم التشيكي "فيلام ماثيزيوس" ومجموعة من الباحثين منهم "بوكارفسكي" و"ترنكا"، "ترويتسكوي" و"كارفسكي"، تأسست هذه المدرسة سنة 1929، وتم الإعلان الرسمي عنها عام 1928 في المؤتمر الأول للسانيات الذي عقد في لاهاي، وقد طرحت أهم أفكار مؤسسيها التي أعتبرت بمكانة الأرضية الخصبة للعمل اللساني، وفي سنة 1929 تم إصدار مجلتهم الموسومة بـ "أعمال حلقة براغ اللسانية" والتي حددت مفهوم اللغة "بأنها نتاج للنشاط الإجتماعي، وهي ذات طابع وظيفي غائي، لأنها وسيلة لتحقيق غاية مستعمل اللغة فيما يريد إيصاله والتعبير عنه".

وقد إهتمت بالدراسات الصوتية ودراسة نظام اللغة الكلي بمستوياته المختلفة الصوتية والنحوية والدلالية دراسة وظيفية محضة حيث إعتمدت على مفهوم النسق والنظام وقد شملت هذه الدراسة الصوتيات الوظيفية الآنية الوصفية والصوتيات الوظيفية التاريخية التعاقبية، الأسلوبية اللسانية الوظيفية وأيضا دراسة الوظيفية الجمالية للغة ودورها في الأدب والفنون والمجتمع، كما ركزت في أعمالها على الوظائف المختلفة التي تتجم عن المستويات اللغوية في المجتمع سواء كانت فونولوجية صوتية أم نحوية أم دلالية هذه البنيات والوحدات اللغوية تحدد بالوظائف المختلفة داخل المجتمع. وهذا ما أعطى لدراساتها اللغوية إمتداد إجتماعيا. (النذير ضبعي، 2020، ص 4، 5).

-النظرية الجغرافية:

النظرية الجغرافية والتي نحن بصدد الحديث عنها من وجهة نظر بعض العلماء اللسانيين أن العوامل الجغرافية تؤثر تأثيرا شديدا على تغير أصوات اللغة وحسب رأي هذه النظرية فإن سكان الجبال تختلف أصواتهم عن سكان السهول أي أن الفئة الأولى يغلب عليها طابع الشدة والغلظة في الكلام في حين أن الفئة الثانية تمتاز أصواتها بالليونة والرخاوة ما يوضح مدى أثر البيئة في اللهجة،

ما يعرف " بيئات لغوية" واضحة المعالم يؤخذ فيها بأثر المكان والزمان والعوامل الاجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية والدينية في تميز تلك البيئات.

-مدرسة الغلوسيماتيك:

إعتمدت هذه النظرية اللسانية العلمية المبنية على أسس عملية رياضية منطقية بعيدا عن الفلسفة والأنثروبولوجيا واللسانيات المقارنة، وهي تعني بوصف الظواهر اللغوية وتحليلها وتفسيرها بطرق موضوعية وتتميز عن غيرها من النظريات اللسانية بمجال التعريف والتنظيم والتصنيف وعلى التجريد النظري أي تهتم الغلوسيماتيك بالوحدات اللغوية الصغرى والتي تنقسم بدورها إلى قسمين هما وحدات التعبير التي تسمى "سواتم" ووحدات المحتوى وتدعى "مضامين أو مكونات دلالية".

وقد نادى مؤسسها "يلمسليف" أن اللغة شكل وليست مادة، على إعتبار أن التحليل الموضوعي لهذا الشكل هو "اللسانيات المحايدة" المبنية على المنهج الإستنباطي الموضوعي، حيث أعتبر اللغة في ذاتها الموضوع الحقيقي للسانيات وهو ما يسمى عند "يلمسليف" بمبدأ المحايدة". (الذير ضبعي، ٢٠٢٠، ص ١٠).

-المدرسة الوظيفية الفرنسية:

تأسست هذه النظرية من قبل العالم "أندري مارتيني" والذي إعتبر "اللغة نتاجا إنسانيا ووسيلة ناجعة للتواصل بين الأفراد والمجموعات، ويعترف بإختلافها من جماعة إلى أخرى إلا أنها تلتقي جميعها في وظيفتها الأساسية المنوطة بها وهي التواصل".

وقد طرح في دراسته أن بنية اللغة تحدد في إطار الوظائف الكفيلة بها حيث أكد أن اللغة بينة يستعملها الإنسان ليترجم بها خبراته وواقعه ويسعى بها إلى تلبية حاجات التواصل دون نفي التطور الذي يحدث عبر الزمن، وهذا ما يوضح في تعريفه وتحليله للغة الإنسانية بشكل عام "بأنها تملك خاصية التمثيل التي تسمح بتجزئة المتوالية اللغوية إلى وحدات ذات محتوى دلالي وصورة صوتية تدعى "المونيمات" وهذه الأخيرة تتكون من وحدات محددة متوالية تسمى "الفونيمات" وهي ذات عدد محدود في كل لغة، حيث تختلف في طبيعتها وعلاقتها ببعضها البعض من لغة إلى أخرى.

كما يعتبر الوظيفيون أن دراسة اللغة هي البحث عن الوظائف التي تؤديها أثناء عملية تواصل الأفراد وهذا ما تولد عن الإتجاهات التي إهتمت بدراسة الظواهر الصوتية والتي أشارنا إليها سالفًا. وعليه فإن هذا الإتجاه يقوم على مفهوم أساسي هو مفهوم الوظيفة، فكل باحث من خلال نظريته يسعى للكشف عن القطع الصوتية التي تؤدي وظيفة داخل التركيب، بمعنى يبحث عن الوحدات التي يمكنها تغيير المعنى كما أستبدلت بأخرى وبذلك يتغير معنى الوحدات اللغوية، من هنا نستخلص أن المعنى والوظيفة هما جوهر إهتمامات المدرسة الوظيفية.

من خلال ما أشرنا إليه فإذا أراد الباحث تحليل مدونة لسانية تحليلًا وظيفيًا عليه أن يحصي مجموعة من الوحدات اللغوية، ثم يقوم بترتيبها من حيث أوجه الشبه والاختلاف وبالتالي تتضح له الفوارق التي تعكس قيمتها الوظيفية. (النذير ضبعي، ٢٠٢٠، ص ١٢، ١٣).

٢. ماهية الهوية الجماعية وعلاقتها بجغرافية اللهجة:

١،٢ ماهية الهوية:

إن تعريف مفهوم الهوية يقتضي وضع معايير موضوعية وتحديد مرجعيات للمفهوم، بحيث يستعمل مفهوم الهوية في حقل العلوم الاجتماعية للهوية الإثنية أو الهوية حسب النوع الاجتماعي أو الدين أو السن أو المهنة وغيرها، فهي هويات ترتبط بالفرد أو بالجماعة.

نجد صالح الهرماسي يعرف الهوية بقوله: يرى بعض الباحثين أن هوية الأمة التي هي حقيقتها المميزة لها تتشكل من عنصرين أساسيين: نمط العلاقة بين الأفراد، والمنطلق الإيديولوجي الذي أنتج ذلك النمط، فهذان العنصران هما اللذان يعطيان لكل أمة حقيقتها التي تتميز بها من الأمم الأخرى، ويكون بها تشخصها في الواقع، وصيرورتها في التاريخ. (محمد صالح الهرماسي، ٢٠٠١، ص ٢٤).

يتضح من خلال هذا التعريف أن المؤلف في تعريفه للهوية قد ركز على محورين هامين أولهما نمط العلاقة بين الأفراد والذي يتجلى في السلوكات العامة التي يتميز بها أفراد الجماعة عن غيرهم، والثاني المتمثل في المنطلق الإيديولوجي وهذا النمط قد يتغير حسب الإنتماء الجماعي، أي أن الجماعة على مدار تاريخها قد تقرر في أي لحظة من تغيير إيديولوجيتها، وعليه حسب هذا التعريف فإن الهوية تتغير وتتطور طبقاً لهذين العاملين.

- محمود حسين فقد عرف الهوية بقوله: "من الإستقراء للأدبيات والدراسات الأكاديمية المتخصصة عن الهوية تشير إلى أن هوية أمة هي هوية تاريخية والتاريخ هو الذي يشكلها وهذا يعني أن لا هوية خارج المجتمع والتاريخ، فالأمة وحدها تملك الهوية سواء كانت جماعة كبيرة أو صغيرة شرط تماثل أفرادها وإنصهارهم في الوجود المجتمعي الجماعي". (www.sudanpolice.gov.sd/pdf/٨٨٨)
يشير هذا التعريف إلى المكونات الأساسية للهوية والتي تتبلور وتتشكل في ضوء عنصرين أساسيين هما المجتمع والتاريخ، فهوية الجماعة تتكون بهويتها التاريخية وتتماثل أفرادها وإنصهارهم في الوجود المجتمعي الجماعي.

وأخيراً تعرف "الهوية عادة بكونها تحيل على الأفكار التالية:

- ما يميز خصوصيتنا والكيفية التي تتمثل بها هذه الخصوصية.

- طرق التفكير، الشعور والسلوك المتماثل.

- مجموع السمات الحضارية المرتبطة بعمق المجال التاريخي". (محمد أتركين، ص ٤٥).

- أما عبد الغني عماد فأشار إلى مفهوم الاندماج الاجتماعي باعتباره يمثل دوراً محورياً في تحليل سياقات التفكير والبناء الهوياتي، وهو مفهوم يختلف تحديده حسب طبيعة المجتمعات، ففي المجتمع التقليدي تذاب "الأنا" لصالح سلطة "نحن" وبالتالي يختلف وعي الانتماء بحسب طبيعة المجتمع فيصبح التضامن في المجتمع التقليدي "ميكانيكياً" كما أشرنا سابقاً، أما في المجتمعات الحديثة فيكون تضامناً عضوياً. (عبد الغني عماد، ٢٠١٧، ص ٨).

في التضامن الآلي نجد الأفراد موحدون في الأفكار والمشاعر والوظائف، أما التضامن العضوي ففيه نوع من الاختلاف بين أعضاء المجتمع من حيث الثقافة، المعتقدات، القيم والمعايير، الأفكار والمشاعر وهذا النوع من الثقافة يسود في المجتمعات الحديثة المعاصرة.

- يرى خالد بن عبد الله القاسم في تعريفه للهوية قائلاً: "إن هوية أمة هي صفاتها التي تميزها عن باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية". (www.faculty.ksu.edu.sa).

وهذا ما يعني أن للهوية صفات تميزها عن غيرها من الأمم، هذه الميزات الدالة والمعبرة على الشخصية والسمات الحضارية.

- أما محمد عابد الجابري يرى أنه "لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها، ولا تغدو هوية ممثلة قادرة على نشدان العالمية إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان تطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن (الجغرافية والتاريخ)، الدولة (التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة)، والأمة (النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة)". (محمد عابد الجابري، ١٩٩٨، ص ١٤، ٢٢).

- ويشير أيضاً محمد عابد الجابري أن: هوية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار، حتى لو توفرت الإرادة السياسية. (الجابري محمد عابد، ١٩٩٥، ص ١٢).

٢،٢ ماهية الهوية الجماعية:

- يرى إبراهيم أبراش فيقول: "سنعالج هنا الهوية الجماعية والهوية بهذا المعنى هي شعور الفرد بالانتماء إلى جماعة أو جماعات معينة". (إبراهيم أبراش، الموقع www.palnation.org) يوضح هذا التعريف معنى الهوية الجماعية وفق علاقة الانتماء والتي تتحدد بشعور الفرد وانتمائه لجماعة أو جماعات معينة.

- أما خضر تعريفها للهوية بقولها: "تتحدد الهوية في مستويات ثلاث: الفردية الوطنية، القومية والجمعية" والعلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد أساساً حسب نوع (الأخر) الذي تواجهه، فإذا كان هذا الآخر داخلياً فالهوية الفردية تفرض نفسها ك (أنا) وإذا كان هذا الآخر يقع في دائرة الأمة فالهوية الوطنية والقومية تفرض نفسها محل (الأنا) وإذا كان هذا الآخر يقع خارجها، فالهوية الجمعية تملأ

مكان (الأنا) وهكذا تتحرك الهوية على دوائر متداخلة ذات مركز واحد". (لطيفة إبراهيم خضر، 2009، ص 353).

يفسر هذا الطرح العلاقة بين أنماط الهوية الفردية والقومية والجمعية والتي تتحدد من خلال دوائر متداخلة حسب نوع (الأنا) والمتمثل في دائرة الذات أي الفردية عندما يكون الآخر ينتمي إلى نفس الجماعة وعندما يكون في الدائرة الواسعة للأمة تتحدد الهوية القومية، أما إذا حلت الهوية الجمعية مكان (الأنا) وخارج دائرة الأمة فهنا تتحرك الهوية الجمعية.

- كما يشير أليكس في هذا الصدد بقوله: "لقد درست الهوية المشتركة من قبل السوسولوجيين والأنثروبولوجيين والمؤرخين تحت تسميات عديدة مثل: هوية مشتركة، هوية جمعية، أو هوية أولية، وبينت هذه الدراسات وجود "أنا إجتماعية أولية مشتركة بين جميع الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة واحدة متماسكة وترتكز هذه الأنا على مبدأ المشاركة الإنفعالية الأساسية في إطار الجماعة". (اليكس ميكشيللي، 1993 ص 103).

ما يمكن توضيحه من خلال هذا التصور فإن أليكس حدد تسميات عديدة مرادفة لمفردة الهوية الجمعية والتي أعطت مفهوما آخر للهوية على إعتبار أنها أنا إجتماعية أولية مشتركة تقوم على علاقة الإنتماء وعلى مبدأ المشاركة الإنفعالية في إطار الجماعة.

- أما محمود العالم فأشار إلى أهمية الهوية في تشكيل الشخصية الفردية والمجتمعية. (علي عبد الرؤوف علي، 2014، ص 443).

فالحديث عن الهوية الجمعية قد يثير التساؤل حول علاقتها بشكل من أشكال الهوية والمنطوي تحت مسمى الهوية الفردية أو الشخصية والتي تتبلور إلا في ضوء ثنائية الأنا والآخر.

- يقول عبد الغني عماد: "كل شخصية لها أصولها بالذات كنتاج إجتماعي، فهي ليست مجرد إنعكاس للوسط المحيط بها، أي أن الوعي الاجتماعي السائد يتجسد في الفعل الاجتماعي، لأنه ينضوي تحت "بنية معرفية معيارية" زودته بها الثقافة ومنظومة القيم والقواعد السلوكية الجماعية، وهذه "البنية المعرفية المعيارية" بمثابة دليل مرشد لوجهة العقل ومسارته، وتصبح بمنزلة "العناصر البانية للهوية" الاجتماعية والثقافية والتي تميز الثقافة الجمعية المشتركة والسائدة في جماعة معينة". (عبد الغني عماد، 2017، ص 7).

أما "حول التمثلات الاجتماعية بوصفها أطرا ومحددات للعقل والهوية"، فيرى دوركايم أن التمثلات الاجتماعية هي مجموعة من التراكمات القيمية المعيارية المنتجة من قبل المجتمع، والخارجة عن الشعور الذاتي للأفراد الإجتماعيين، كما أنها غير قابلة للخضوع لذواتهم الفردية، بحكم طابعها الجمعي الذي ينصهر فيه الأفراد إكراها وبصيغة قهرية. (عبد الغني عماد، 2017، ص 8).

حسب هذا الطرح الدوركايمي فإن المجتمع تحكمه مجموعة من القيم والمعايير الخارجة عن الشعور الذاتي للفرد بإعتباره عضوا في الجماعة التي ينتمي إليها، ويعتبر أن العلاقة التي تربط الفرد والمجتمع محددة بنوعين من التضامن هما التضامن الآلي والتضامن العضوي، ويسود التضامن الآلي في المجتمعات التقليدية بحيث تكون العلاقات الاجتماعية بين أفرادها قوية ومتينة بحكم الضمير الجمعي، هذا الإنتماء للجماعة يمارس عليه الإكراه والقهر الاجتماعي.

من خلال التعاريف المقدمة يمكن إستخلاص أن الهوية هي إنتاج إجتماعي دائم تتطوي على معان الرمزية والحضارية الجماعية تعطي للفرد إحساسا بالإنتماء الهوياتي، وتخلق لديه الولاء والإعتزاز بكونه ينتمي إلى جماعة معينة.

فالهوية إذا بناء إجتماعيا يكتسبه الفرد في وسط إجتماعي معين، بمعنى أن هوية الفرد تتشكل من خلال مجموعة من القسامات الثقافية التي تجعل منه كائنا إجتماعيا، وتخلق خصوصيته الاجتماعية في علاقته بالآخر لأنه لا يمكن الحديث عن الهوية إلا في جدلية الأنا والآخر.

٢،٣ جغرافية اللهجة وتأثيراتها على الهوية الجماعية:

في تفسيرنا للعلاقة بين جغرافية اللهجة والهوية الجماعية يمكن أن نقدم الطرح الذي يؤكد عبد الله الشامي بقوله للهوية "بأنها شفرة، تتجمع عناصرها العرقية على مدار تاريخ الجماعة (التاريخ) من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة) وطابع حياتها الإجتماعي"، وتتجلى الهوية أيضا من خلال تعبيرات خارجية تتمثل في الرموز، العادات التي تتحصر قيمتها في أنها عناصر معلنة إتجاه الجماعات الأخرى، فهي بذلك تحيل على الميزة والدالة على الذات والمميزة عن الأعيان، ما يشكل هوية متميزة فهي قبل كل شيء بناء إجتماعي للتمييز والإختلاف. (رشاد عبد الله الشامي، ١٩٩٧، ص ٠٧)

وهذا ما تحدده اللسانيات الجغرافية في إختلاف اللهجات داخل اللغة الواحدة، وهنا يمكن أن نعتمد الطرح الذي قدمه ديكرود أن المستعملين دون وعي منهم غالبا ما ينصرفون إلى الإختلاف في نطق حرف واحد من اللغة أو الإختلاف بين لفظين في النطق كثيرا ما يفضي إلى إنشاء لفظ ثالث وهذا ما يبرز اللغة من حيث البنية والمرادفات المختلفة للمعنى الواحد وإختلاف الألفاظ أيضا بإختلاف المناطق اللغوية ما يسمى "بتداخل اللغات" وهذا ما ينشأ لهجة أخرى لأسباب تعود أساسا إلى طبيعة البيئة.

كما نفسر ونفهم هذا التمايز والتباين في اللغات من خلال البيئة اللسانية التحليل الدلالي والذي يراعي ظروف الموقف الكلامي وملابساته وما يرتبط من دلالات المتكلمين كالحركات الجسمية والإشارات والغمز والإبتسام... وغيرها ما يبين العلاقة القائمة بين اللسانيات وبين بيئتها الجغرافية.

لأن "الإنسان ابن مألوفه وعوائده لا ابن طبعه ومزاجه"، كما فسرها ابن خلدون حيث عرف البيئة في مقدمته "بأنها مكان تتوافر فيه إمكانيات معينة، فالإنسان وحده هو المهيأ للإستفادة من هذه

الإمكانات وإحداث التغييرات فيها بحسب ما تقتضيه ظروفه في المعاش وال عمران البشري"، وللتغير لدى ابن خلدون علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية، مواردها، جغرافيتها والمناخ وعلاقة الجماعة بغيرها من الجماعات سواء كان هذا بالإتصال أو التبديل في الروابط الاجتماعية. يمكن أن نلخص مما سبق أن الهوية هي روح الجماعة تتجمع عناصرها وتطبع الجماعة بطابعها على مدار تاريخها من خلال تراثها الإبداعي (الثقافة) ووسطها الاجتماعي (البيئة)، أي تتشكل من مكونات تتحدد في ثقافة الجماعة، الرموز والعادات والتقاليد، اللهجة أو اللغة، الأساطير، القيم.

خاتمة:

تعد إشكالية البيئة الجغرافية وأثرها على الهوية الجماعية من المواضيع التي تتطلب الدراسة والتحليل والتفسير لإرتباطها بالسياق الاجتماعي والإقتصادي والسياسي والثقافي للمجتمعات، للتعبير عن الهوية الجماعية خلق حدود عبر تبني عناصر ثقافية منتقاة لخلق الإختلاف عن الآخر أكثر منها البحث عن المشترك بين المجموعة الهوياتية كما تخضع المجموعة كهوية جماعية لمحددات معينة فهي تقوم بتعبئة أفرادها على أساس هوياتي يوظف فيها الإلتزام كمحرك وعلى آليات تفاعلها مع محيطها إذ تحدد الجماعة هويتها بعناصر إختلافها مع محيطها وليس بالتشابه بين أفرادها في إطار هذا التفاعل، مما يساهم في إنتاج أنساق وبنى قيمية تصوغ العقل الجمعي لإعادة إنتاج هوية جمعية، وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

- البيئة اللغوية أثر كبير وفاعل في تحديد اللغة إذ أن اللسان المرتبط بتلك البيئة يعبر عما يحيط به من ظواهر بيئية تعكس نمط تفكيره ومشاعره، " فالإنسان ابن بيئته" سلوك الإنسان وطباعه وثقافته ما هي إلا إمتداد لعناصر بيئته.

- إن تعدد اللهجات وإختلافها وتمايزها من منطقة الى أخرى يؤثر على الهوية الجمعية التي بدورها تعمل على ترسيخ ممارسات جديدة لدى الأفراد فتنتج شبكة من الرموز والتعبيرات التي تعكس المكونات الأساسية للهوية وفق علاقة الإلتزام التي يتبناها كل فرد.

- أن للبيئة الاجتماعية الأثر الأكبر في نشوء لهجات متعددة داخل اللغة نفسها. فالإنسان ككائن إجتماعي لا يمكن أن يعيش بمعزل عن محيطه وبيئته والهوية تنسب إلى الأفراد إلا أنها ترتبط بالمجموعات الاجتماعية التي ينتسب لها الأفراد.

- إن تجسيد الهويات البديلة يعمل على تكريس الشعور بهذه الهوية وتعزيزها من خلال تبني عناصر جديدة والتخلي عن الأخرى وبالتالي عدم وضوح المعالم الحقيقية للهوية.

- إن ما يحدث من صراع حول الهوية هو نتاج التعدد الإثني من جهة وتعدد اللهجات من جهة أخرى فالأولى لا يمكن أخذها بمعزل عن العلاقة غير المتكافئة أو المتفاوتة بين الفئات المجتمعية والتي تشهر خصوصياتها كهوية منفصلة، والثانية ما ينتج عنها من تداخل اللغات داخل اللغة الأم، ما يخلق أزمة الهوية داخل المجتمع الواحد.

وعليه من خلال ما سبق يمكن إستنتاج أن جغرافية اللهجة تصيغ شبكة من التعبيرات الشائعة والدلالات الرمزية لبناء نمط الإستعدادات وتكييف الفرد للإلتزام للجماعة الإجتماعية من خلال إعادة إنتاج هوية جمعية داخل النسق المجتمعي.

قائمة المصادر والمراجع

١. المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات. (٢٠٠٢)، الدار البيضاء: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، سلسلة المعاجم الموحدة رقم ٠١.
٢. البعلبكي. رمزي منير. (١٩٨٩)، المورد الحديث، قاموس انجليزي عربي أنظر: unified Dictionary of linguistics terms English french. Arabice
٣. الراجحي، عبده. (١٩٩٩). اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ط١، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
٤. إبراهيم، أنيس. (٢٠٠٧). في اللهجات العربية، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.
٥. إبراهيم خضر، لطيفة. (٢٠٠٩). هويتنا إلى أين؟، القاهرة: دار عالم الكتب.
٦. عبد الغني، عماد. (٢٠١٧). سوسيولوجية الهوية، جذليات الوعي والتفكك وإعادة البناء، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
٧. ميكشيللي، اليكس. (١٩٩٣). ترجمة على وطفة، الهوية، دمشق: دار الوسيم للخدمات الطباعية.
٨. محمد عابد، الجابري. (١٩٩٥). مسألة الهوية- العروبة والإسلام والغرب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
٩. محمود أمين، العالم. (١٩٩٦). الفكر العربي بين الخصوصية والكونية، القاهرة: دار المستقبل العربي.
١٠. محمد صالح، الهرماسي. (٢٠٠١). مقارنة في إشكالية الهوية المغرب العربي المعاصر، دمشق: دار الفكر.
١١. ديسوسير، فردينان، ترجمة صالح القرمادي، وآخرون. (١٩٨٥). دروس في الألسنية العامة الدار العربية للكتاب.
١٢. يوهان فك، ترجمة رمضان، عبد التواب. (١٩٨٠). العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، مصر: مكتبة الخانجي بمصر.
١٣. الشامي، رشاد عبد الله. (١٩٩٧). "إشكالية الهوية"، عالم المعرفة (العدد ٢٢٤)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
١٤. بن حميد الحميد، عبد العزيز. (٢٠١١). "علم اللغة الجغرافي بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية (العدد الثاني).
١٥. محمد، عابد الجابري. (١٩٩٨). "العولمة والهوية الثقافية"، مجلة المستقبل العربي (العدد ٢٢٨) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٦. محمد عبد الرحمن، محمد. (٢٠١٣). إختلاف اللهجات على المستوى التركيبي، كتاب توضيح المقاصد والمسالك للماوردي نموذجاً، المجلد ٢، المملكة العربية السعودية: قسم اللغة العربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جازان.

١٧. محمد رمضان، كريم. (١٩٩٦). المقتضب في لهجات العرب، مصر: كلية اللغة العربية بالزقازيق، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية. جامعة الأزهر، حقوق الطبع والنشر محفوظة.

١٨. النذير، ضبعي. (٢٠٢٠)، المدارس اللسانية، التخصص دراسات لغوية، المحاضرة رقم ٠٣ من ١٤، تاريخ الإرسال ٢٠٢٠/٠٤/٠٤.

١٩- أبراش، إبراهيم. الفكر العربي ومسألة الهوية في عصر العولمة الثقافية، الموقع: www.palnation.org

٢٠- القاسم، خالد بن عبد الله. العولمة الثقافية وأثرها على الهوية، الموقع: www.faculty.ksu.edu.sa

٢١- الطيب، عبد الجليل حسين محمود. إشكالية الهوية وبناء الدولة الوطنية المعاصرة، الموقع:

www.sudanpolice.gov.sd/pdf/٨٨٨